إشكالية الاغتراب النفسي لدى الطلبة

عوامل السببية و سبل التجاوز

قدواني صبرينة
تحت تأطير
أ.د. عبد العزيز حدار
جامعة البليدة 2 علي لونيسي

ملخص

تهدف هذه الدراسة النظرية الى تبيان الاسباب المؤدية الى الشعور بالاغتراب النفسي لدى بعض الطلبة في الجزائر حيث اكدت عدة دراسات إن ظاهرة الاغتراب النفسي اصبحت منتشرة في الاوساط الطلابية بشكل واسع، فقد كانت لها انعكاسات جد وخيمة على الصحة النفسية للطالب وتحصيله الاكاديمي، ما يجعل تناول هذه الظاهرة ضرورة بحثية لتجاوزها والتخفيف من تأثيراتها : كما تكمن اهمية هذه الدراسة بانها تحاول إن تقترح بعض الاجراءات والاساليب العملية و التطبيقية التي من شانها الحد من مضاعفات هذه الظاهرة، وقاية وعلاجا، وقد تم استخدام مقاربة تحليلية نظرية تتجاوز التخصصات على اعتبار أن هذا الاغتراب على غرار طاقية الظواهر المرضية النفسية هو ناتج عن سببية متعددة العوامل.

الكلمات المفتاحية:الاغتراب، الاغتراب النفسي، الطلبة، الاسباب والعوامل

Résumé :

Cet étude vise àdémontrer les raisons de l'aliénation psychologique observée chez les étudiantsalgériens, dans cet optique plusieurs études ont souligné son aspect épidémiologique dans les milieux estudiantins et ses conséquencesnéfastes sur la santé mentale de l'étudiant et sa performance académique ;

Ce qui rend l'étude de cette problématique nécessaire,

Cette étuderevêt aussi une importance dans la mesure où elle essaie de proposer quelques solutions susceptibles de mettre terme aux effets néfastes de ce type d'aliénation,dans une double perspective prophylactique et de remédiation,en se basant sur une approche qui prônel'analyse qualitative multidisciplinaire,

Mots clés : l'aliénation ; l'aliénation psychologique, les causes et facteurs, étudiants

الاشكالية:

لقد ازداد اهتمام الباحثين خلال النصف الثاني من القرن العشرين بدراسة الاغتراب كظاهرة انتشرت بين الأفراد والمجتمعات المختلفة، وربما يرجع ذلك النما لهذه الظاهرة من دلالات قد تعبر عن أزمة الإنسان المعاصر ومعاناته وصراعاته الناتجة عن تلكا لفجوة بين تقدم مادي يسير بمعدل هائل السرعة وتقدم قيمي ومعنوي يسير بمعدل بطيء، الأمر الذي أدىب الإنسان إلى الشعور بعدم الأمن والطمأنينة حيال واقع الحياة في هذا العصر، وهذا ما يؤكده عاد لعبد الله محمد (2000)، حيث يرى أن من أبرز مظاهر التعبير عن اغتراب الإنسان ما تفصح عنه الإحصاءات والدراسات النفسية والاجتماعية، من زيادة خطيرة في انتشار الأمراض النفسية والعقيلة والانتحار، وإدمان الخمور والمخدرات، والانحلال الجنسي وهجرة الأدمغة، وثورات الرفض والاحتجاج التي يقوم بها الشباب عامة والطلاب بشكل خاص في بلدان كثيرة من العالم، ويعد الاغتراب النفسي هو الحصيلة النهائية للاغتراب في أي شكل من أشكاله .

كما تزداد أهمية دراسة الاغتراب النفسي نظر الانتشاره الملموس وسط فئة الشباب خاصة الشباب العربي ومنه الجزائري، الذي أصبح يعايش عالمين متناقضين حاملا في شخصيته ثقافتين متباعدتين غير متكافئتين، يصعب التقريب بينهما، ثقافة تراثية مفعمة بالمواطنة الأصلية وأخرى عولمية غريبة تسلبه الثقافة الأولى، فيصبح ممسوخ الشخصية فاقد الهوية، غير قادر حتى على التكيف مع الواقع، أو التعايش الحر مع الأخر من إعادة إنتاج الذات

وهي مشكلة لابد من دراستها و معرفة أسبابها و ذلك للحد من انتشارها لما لها من اثار سلبية على الفرد وعلى مشاركته في تنمية بلده وتطوره، كما أن ظاهرة الاغتراب تتفاقم في الظروف التي تتضاءل فيها المرونة المطلوبة لتعديل الأهداف أو استبدالها بأهداف تقاربها، فحرمان الشباب من تأسيس خياراتهم المصيرية يؤدي الشعورهم بالاغتراب والقلق والانسحاب من الحياة الاجتماعية ومن ثم إضعاف انتمائه الاجتماعي، بحيث يتحول إلى عبء يثقل كاهل التنمية والمجتمع، قد يدفع إلى تمرد الشباب، ويسبب إشاعة الفوضى في النظام الاجتماعي .

ونظرا لتزايد هذه الظاهرة في الوسط الجامعي قام عدد من المختصين والباحثين بالدراسة في هذا المجال، منها دراسة **احمد خير حافظ (1980)** التي تناولت مظاهرالشعور بالاغتراب وعلاقتها بنوع ومستوى التعليم، على عينة من (253) طالبا وطالبة، من كليات ومستويات مختلفة في جامعة عين شمس، وأظهرت النتائج بأن طلاب السنوات الأولى والكليات النظرية كانوا أكثر شعورا بالاغتراب من طلاب السنوات النهائية والكليات العلمية .**(احمد خيري حافظ، 1980،ص5)**

و دراسة رغداء نعيسة (2011) التي تناولت علاقة الاغتراب النفسي بالأمن النفسي على عينة بلغت عددها (370) طالبا وطالبة من جامعة دمشق، و من أهم ما توصلت اليه الدراسة هو وجود علاقة ارتباطية عكسية سلبية بين درجات الطلبة على مقياس الأمن النفسي، ودرجاتهم على مقياس الاغتراب النفسي، أي كلما زاد الاغتراب النفسي نقص الامن النفسي و العكس صحيح. (رغداء نعيسة 2012، ص 114)

هذا و تشير العديد من الدراسات العربية أن نسبة كبيرة من شباب جامعات الوطن العربي يعانون من ظاهرة الاغتراب النفسي، ترجع إلى أسباب عديدة ومختلفة، فالأفراد يختلفون في مدى قدرتهم على تحملا لمواقف الضاغطة و التحكم في الأحداث، مما يستدعي تنوع وتكاملا لتدخل الارشادي و العلاجي من خلال البرامج والفنيات والاستراتيجيات التي تسهم في علاج هؤلاء الشباب عند تعرضهم لتحديات أحداث الحياة الضاغطة.

لذلك يحظى مجال الصحة النفسية اليوم بتطوير في الأهداف التي يرمي إلى تحقيقها، فلم يعد الهدف قاصرا على معالجة الاضطرابات وحلا لمشكلات لتحقيق الحد الأدنى من التوافق مع البيئة المحيطة، بلتعدى ذلك الى محور التنمية التي تعني بإيجابيات الشخصية الإنسانية والجودة الشخصية، وتنمية مواطن القوة، ودعمها لتصبح هي أدوات الفرد في التحدي لمشكلات الحياة وضغوطها.

هذا ما يقودنا من خلال هذا البحث الى محاولة الاجابة عن التساؤلات التالية:

ماهي الأسباب المؤدية إلى الاغتراب النفسي لدي طلبة الجامعة في مرحلة المراهقة المتأخرة؟

وماهي الحلول المقترحة التي من شأنها للحد من انتشار هذه الظاهرة؟

أهميـــة الدراســـة:

لقد تبرزت أهمية هذه الدراسة من الحاجة الماسة إلى الاهتمام وبشكل أكبر بظاهرة الاغتراب النفسي وخاصة في مرحلة الانتقال من الثانوي إلى الجامعي، وهي من المراحل الانتقالية المهمة والحرجة في حياة المراهق التي تتسم بأنها مليئة بالتوترات والضغوط والإحباط في محاولة هذا الأخير البحث عن هويته و إثبات ذاته كما تكتنفها الأزمات النفسية وتسودها المعاناة، كما أنها فترة ظهورحاجات واهتمامات و رغبات و أهداف جديدة،مما يدفعنا الى التفكير والعمل على مساعدتهم و تنمية الإحساس الفاعل لدى هؤلاء الشباب.

كما أن أهمية المرحلة العمرية التي تتعرض لها الدراسة وهي مرحلة المراهقة، والتي تتمثل في حد ذاتها أكثر المراحل الإنمائية التي تتميز بتغيرات فسيولوجية و نفسية، من شانها أن تولد لدى الشاب العديد من الضغوط والصراعات، والاضطرابات النفسية،كالشعور باليأس، والقلق، والاكتئاب والاغتراب.

هدف الدراسة :

هدفت الدراسة الحالية الى التعرف على أسباب الاغتراب النفسي الذي يعاني منه الكثير من المراهقين، و كذا إبراز أهمية الاهتمام بتنمية الجوانب الايجابية لدى الشباب خاصة في مرحلة المراهقة المتأخرة، وذلك من أجل الوقاية من الوقوع في اضطرابات نفسية يستعصى علاجها.

حدود الدراسة:

تم اتباع منهج التحليلي الوصفي في هذا البحث، حيث تم حصر حدوده من خلال تحليل مضامين عدة مراجع نفسية وصحية، اهتمت بالاغتراب عامة وبالاغتراب النفسي خاصة، محاولين البحث عن الأسباب المؤدية الى ازدياد هذه الظاهرة ومحاولة اقتراح بعض الحلول المناسبة للتخفيف منها.

تحديد المفاهيم:

تعريف الاغتراب :

لغوياً: يعني مصطلح الاغتراب في اللغة العربية ابتعد ونأى ويعني تغرب وانفصل. (عثمان، 2001، ص137)

دينياً: يشير هيجل إلى المعنى اللاهوتي في الاغتراب بقوله أنه : «انفصال الإنسان عن الله بفعل السقوط في الخطيئة».(العاسمي، 2002، ص152)

موسوعياً: يعرف إحسان محمد الحسن الاغتراب في موسوعته علم الاجتماع بأنه «الحالة السيكو اجتماعية التي تسيطر على الفرد سيطرة تامة تجعله غريباً وبعيداً عن بعض نواحي واقعه الاجتماعي». (الحسن، 1999، ص65)

اجتماعياً: المعنى الاجتماعي للاغتراب عند هيجل، تعود أصوله إلى فلسفة العقد الاجتماعي وخاصة آراء «روسو» ويعني :

«انفصال الذات عن الجوهر الاجتماعي، وهذا ينتج عن انعدام وعي الفرد بحقيقة وجوده واستسلامه وتنازله عن حقه في السيادة على نفسه للآخرين يمارسون هذا الحق في إطار المجتمع المدني، أي تنازل الفرد عن استقلاله وتوحده مع الجوهر الاجتماعي. (العاسمي، 2002، ص152)

نفسياً: الاغتراب عند فروم «هو الفشل في التفاعل بين العوامل النفسية والعوامل الاجتماعية».

فالمغترب عند فروم ينظر إلى العالم وإلى نفسه على أنه سلعة يمكن بيعها وشراؤها وليس لها إلا قيماً مالية. **((دمنهوري، 1996، ص8)**

ويقول فرويد إلى أن «الحضارة في مطالبها المتعددة التي لا يقوى الفرد على تحقيقها تنتهي به إلى ضرب من الاغتراب وكره الحياة التي يحياها». **(الخطيب، 1998، ص20)**

ويرى أريكسون «أن الاغتراب يحدث خلال أزمة الهوية التي يبحث فيها المراهق عن ذاتيته حيث يحدث العداء بين تطور الأنا وتشتت الأنا الذي يمثل الاغتراب كمعوق أساسي لتطور حرية الأنا. **(عثمان، 2001، ص137)**

الاغتراب في نظرية التحليل النفسي:

لقد أسهمت نظرية التحليل النفسي في تفسير الاغتراب، كما ساهمت الماركسية والوجودية في تفسير الاغتراب، ومن رواد التحليل النفسي (فرويد) في حين أسهم الفرويديون الجدد من أمثال : (هورني، أريك فروم) في توضيح وفهم الاغتراب

- تصورسيغموند فرويد:

تناول «سيجموند فرويد» الاغتراب من وجهة نظر اللاوعي كما تناوله بفكرة غربة الذات واهتم بالشعور واللاشعور كما تناول الاغتراب على أنه «اضطراب مرضي» وتناولت النظرية الفرويدية الاغتراب بشعور الذكور بالعدائية تجاه الأب والتفاعل مع الأم وعلى عكس الإنسان وهذا مايسمى «بعقدة أوديب» كما ركزت النظرية على فكرة الإحباط من خلال تحضير المجتمع. **(عبد المختار، 1998، ص47)**

يرى (سيجموند فرويد) أن الاغتراب ينتج أساسا على حاجات الحضارة ومتطلباتها وكان مقتنعا بأن متطلبات البناء الاجتماعي تناقض جوهر الذات الذي يزداد خطورة نتيجة لوطأة الوجود الطبقي المسيطر **(عبد السميع 2007،ص48)**

وهذا يعني في نظر (فرويد) أن الاغتراب يحدث للفرد نتيجة عدم سماح الحضارة لهل إشباع غرائزه دون تأجيل، إضافة إلى دور اللاشعور في جعل الفرد يغترب من مجتمعه نتيجة لعدم قدرة الفرد عل مواجهة متطلبات المجتمع، مما يدفعه إلى سلوكيات تحافظ عليهل لعيش داخل مجتمعه، وهو مقتنع بأن متطلبات البناء الاجتماعي تناقض جوهر الذات، الذي يزداد خطورة نتيجة لوطأة الوجود الطبقي المسيطر

- تصور إريك فروم

أما عند إريك فروم، فالقضية المحورية هي مصادرة التحليل البشري الأساسية مؤداها أن الآلام الإنسان الأساسية ليست متأصلة في الحاجات الغريزية ولكنها كامنة في أحوال معينة للوجود البشري، وفي الحاجة لإيجاد الرابطة الجديدة بين الإنسان والطبيعة بعد أن افتقد الرابطة الأولية لمرحلة ما قبل تاريخ البشرية

لقد اهتم فروم بتحليل مفهوم اللاعقلي باعتباره مظهراً من مظاهر الاغتراب في المجتمع الحديث، أما فيما يتعلق بالتعريف فهو يرى الاغتراب في النسق الماركسي يشير لحالة الإنسان الذي يصير فعله الخاص قوة غريبة بالنسبة له، تفلت منه، وتعمل ضده، وتتحكم فيه بدلاً من أن يكون محكومة بواسطته.

ثم يأتي تعريف فروم للاغتراب بأنه أسلوب الخبرة الذي تكون فيه ميزات الشخص نفسه موضوعاً غريباً عنه، فهو قد يصير غريباً عن نفسه، ولا يشعر أنه مركز العالم أو أنه خالقاً لعلمه ويتحكم فيه، فالمغترب تتحكم فيه أعماله ولا يمتلكها

ويؤكد فروم أن المرء ممكن «أن يشعر ويعتقد بأنه مبدع أفعاله وأنه شخص مفكر وموضوع لأفكاره الخاصة وما إلى ذلك، ومع ذلك يظل مغترباً عن ذاته، ويوافق فروم تلقائياً على القول بأن العديد من أولئك الذين ينطبق عليهم هذا الوصف يعدون في الواقع أنهم يقومون بما يريدونه حتماً ويعتقدون أن الأفكار التي تدور بداخلهم هي أفكارهم بالفعل، إلا أن فروم يقر بأن الشخص المغترب عن ذاته غالباً ما يقع تحت وهم القيام بما ينشده، بمعنى أن معايشته لذاته لا تضرب جذورها في الواقع وإنما هي وهم». **(شاخت، 1980، ص191)**

- تصور هورني للاغتراب:

تهتم «هورني» بالشروط الثقافية والاجتماعية لتحقيق وجود الإنسان، وتبين أثر العلاقات المتبادلة بين الشخصية وقيم المجتمع بين العلاقات الاجتماعية، والتطلعات الفردية.

حيث ترى أن الفرد يتمنى أن يشبع مطالبه وأن تتحقق رغباته، لكن إمكانية تلبية هذه التمنيات تصطدم بواقع الظروف الاجتماعية في ظل النظام القائم، وهو لذلك يقع في صراع داخلي شديد، وهو صراع بين الذات الحقيقية والذات المثالية التي تنشأ عن حاجات الفرد الداخلية وتؤثر في الشخصية.

فالأنا الحقيقية هي المركز الشخصي للإنسان والتي بفضلها يتحقق تطوره الفردي، أما الأنا المثالية فهي ما ينبغي أن تكون عليه الشخصية طبقاً لرغباتها وتخيلاتها.

إن الإنسان عندما تشتد عليه صراعاته الداخلية ويستعصي حلها، فإنه يخلع عن ذاته الحقيقية صورة مثالية تكون بديلاً للأفكار الحقيقية، وعندما يتقبل الإنسان هذه الصورة المثالية فإنها تؤثر عليه وتسيطر على كل قواه وطموحاته.

إن وجود الصراعات الداخلية للشخصية، ونشوء الأنا المثالية التي يخلقها الفرد من أجل حلّ النزاعات داخل الشخصية بحيث تصبح الأنا المسيطرة في بنية الشخصية، كل ذلك يؤدي إلى فقدان الشخصية أو إلى اغتراب الذاتي للشخصية. **(عباس، 1987، ص165)**

وتعتبر هورني من العلماء الذين ركزوا على الاغتراب من وجهت نظر التناقض القائم بين الذات والواقعية والذات المثالية.

حيث ترى أنه ليس بوسع المرء دائماً أن يميز بصورة محددة بين الاغتراب عن الذات الفعلية والاغتراب عن الذات الحقيقية، تؤكد هورني أنه عندما «يكره الفرد ذاته الحقيقية بسبب ضعفها وفشلها إذ أن الفرد يتمنى أن تشبع مطالبه وأن تتحقق رغباته لكن إمكانية تحقيق هذه الأمنيات تصطدم بواقع الظروف الاجتماعية في ظل النظام القائم،

مما يدفع الفرد للوقوع في صراع شديد وهو صراع بين الذات الحقيقية والذات المثالية التي تنشأ عن حاجات الفرد الداخلية وتؤثر في شخصيته، وعندما تشتد صراعات الإنسان الداخلية ويستعصي حلها فإنه يخلع عن ذاته الحقيقية صورة مثالية تكون بديلة للأفكار الحقيقية، وعندما يتقبل الإنسان هذه الصورة المثالية كبديل واقعي لحل الصراعات القائمة داخل الشخصية فإنها تؤثر عليه وتسيطر على كل قواه وطموحاته، وهذا بالتالي يؤدي إلى اضطراب الشخصية وانقسامها داخلياً.

وتشير هورني إلى أن هذا الوضع ينشأ حينما يطور الفرد «صورة مثالية» عن ذاته يبلغ من اختلافها عما هو عليه اختلاف كبير بحيث توجد هوة عميقة بين صورته المثالية وذاته الحقيقية، وحينما يتشبث الفرد بالاعتقاد بأنه هو ذاته المثالية لأنه في هذه الظروف لا يعود الفرد يدرك ذاته الحقيقية». **(عباس، 1987، ص164)**

الاغتراب النفسي من منظور نفسي:

إن الاغتراب من منظور نفسي هو الحصيلة النهائية للاغتراب في أي شكل من أشكاله، أنه انتقال للصراع بين الذات والموضوع، من المسرح الخارجي إلى المسرح الداخلي في النفس الإنسانية، إنه اضطراب في العلاقة بالموضوع على مستويات ودرجات مختلفة تقترب حيناً من السواء وحيناً آخر من الاضطراب وقد تصل إلى الاضطراب الأخير في الشخصية.

- تصور كارل روجرز

اما كارل روجرز فيرى أن سوء التوافق هو جوهر اغتراب الإنسان فلا يعود صادقاً مع نفسه، ولا مع تقييمه الكياني الطبيعي للخبرة، لأنه من أجل أن يحتفظ بالتقدير الإيجابي للآخرين يزيف بعض قيمه ولا يدركها إلا في ضوء تقدير الآخرين لها. (القاضي وآخرون، 1981، ص237) فالاغتراب النفسي يتجلى في انفصال الفرد عن ذاتهحيث أن «سبب معاناة الإنسان وانفصاله عن ذاته ليس ما هو قائماً بل ما لا يوجد بعد، هذا هو جوهر الاغتراب، حيث أن هناك مسافة بين الواقع والماهية، بين الواقع والإمكان، فالمشكلة لا تكمن بما هو موجود بل بالأحرى ما ليس موجوداً بما يجب أن يكون عليه».(مجاهد، 1985، ص105)

ويربط العديد من العلماء بين الشعور بالاغتراب وبين مفهوم الذات بمعنى أنه كلما شعر الفرد بأنه مفهومه عن ذاته متضائل وأن الذات محتقرة أو مقدرة تقديراً سلبياً، أو أنه لا يستطيع تحقيق ذاته، كلما شاع لديه الشعور بالاغتراب والحزن والقلق والعزلة، ومن هؤلاء الذين يؤكدون على ذلك روبنز وميدروس وسيمان.**(دمنهوري، 1996، ص10)**

و قد توصل ملفين سيمن (1959) إلى تحديد خمسة مفاهيم مختلفة للاغتراب و هي: العجز، و فقدان المعايير، و غياب المعاني، و العزلة (في حليم بركات،2006،ص10)

و توصل أنتوني دافيدس (1955): في دراسته للاغتراب أن هذا المفهوم يتألف من خمسة أبعاد متشابكة هي : التركيز على الذاتية،وعدم الثقة، والتشاؤوم، والقلق،و الاستياء (في حليم بركات،2006،ص10)

و مماسبق يتضح أن مفهوم الاغتراب يحمل الكثير من الأبعاد و المكونات تتباين وفق الخلفية النظرية و الثقافية و مجال الدراسة للمفكرين و الأخصائيين

أسباب الاغتراب وعوامله:

تعددت أسباب الاغتراب لدى الشباب لكون أن هذه الظاهرة معقدة ذات أبعاد متعددة، ومن أهم هذه الأسباب ما يلي :

- يعزى الاغتراب إلى طبيعة النمو ذاتها فإن بداية مرحلة المراهقة عبارة ما يطلق عليه أزمة المراهقة مما ينعكس في الإحساس بالاغتراب.
- يعزى الاغتراب إلى الظروف الحضارية التي يعشيها الفرد، وتؤكد الدراسات النفسية أن أزمة المراهقة ليست أزمة ثابتة في كل الحضارات في كل الحضارات ولهذا فإن طبيعة النظام الاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه الفرد ويؤثر في تنمية الإحساس بالاغتراب.
- يعزى الاغتراب إلى إحباطات الطفولة وأساليب التنشئة الاجتماعية وكذلك العوامل المعرفية والوجدانية **(عثمان، 2001، ص138)**

هذا وترجع «هورني» أسباب الاغتراب لدى الإنسان إلى ضغوط داخلية، حيث يوجه معظم نشاطه نحو الوصول إلى أعلى درجات الكمال، حتى يحقق الذاتية المثالية، ويصل بنفسه إلى الصورة التي يتصورها، ويصبح المغترب غافلاً عما يشعر به حقيقية، وعما يحبه، أو يرفضه أو يفقده،أي يصبح غافلاً عن واقعه ويفقد الاهتمام به ويصبح عاجزاً عن اتخاذ قراراته حيث لا يعرف حقيقية ما يريد، كما يعيش في حالة من اللاواقعية، وبالتالي في حالة من الوجود الزائف مع نفسه.**(عبد المختار، 1998، ص50)**,ما يعني أن عوامل الاغتراب هي عوامل ذاتية وعوامل اجتماعية وثقافية.و التي يمكن تحديدها على النحو التالي:

1- العوامل الذاتية :

إن من العوامل المؤثرة في الاغتراب العوامل النفسية لدى الشباب وعدم تقبلهم لذاتهم.

تعد معرفة الذات بما هي عليه من خصائص وقدرات معرفة واقعية الخطوة الأولى في عملية تأكيد الذات وتحقيقها بينما تشكل المبالغة أو الخطأ في التعرف على الذات خطورة باتجاه الشذوذ، بحيث تكون نتيجة أعمال من لا يعرف ذاته غير مضمونة.

ولا يكفي أن يعرف الإنسان ذاته وإنما عليه أن يتقبل ما عرف مهما كان عليه الأمر وعدم التقبل الذاتي يؤدي إلى وضع أهداف للحياة ومستويات طموح غير منسجمة مع

الإمكانيات المتاحة زيادة أو نقصان، وفي الحالتين خيبة أمل وضعف ثقة وسوء تكيف، كما لا تكفي معرفة الذات بل لابد من تقدير الذات واحترامها وإعطائها قيمة إيجابية وأن يشعر معها الفرد بجدارة كافية لإحراز الرضى الذاتي. (سعد، 1994، ص92-93)

أن تعرض الفرد للإحباط تؤدي به إلى الاغتراب كذلك أن العصاب والذهان والانحرافات السلوكية والجنسية هي مظهر من مظاهر الاغتراب كما أن من العوامل التي تدفع الفرد إلى الاغتراب هو التناقض القائم بين طموحاته وقدراته وظروفه وإمكانية تحقيق رغباته وأهدافه.

2- العوامل الاجتماعية والثقافية:

يؤثر المجتمع الذي يعيش به الفرد والثقافة المنتشرة في نشوء الاغتراب لديه.حيث يمكن تبيانها في العوامل التالية :

- أزمة القيم :

تنطوي كل ثقافة على قيم تقليدية تشكل نسيج الشخصية الإنسانية وتصبح جزءاً لا يتجزأ منها. هذه القيم هي محور شخصية الفرد وكل تغير يهدد هذه القيم يصبح خطراً يهدد كامل الشخصية، وهذا يعكس إلى حد كبير ما يسمى بأزمة القيم.

يتنازل المرء عن نفسه كما يرى لأريك فروم إزاء استسلامه لقيم المجتمع السائدةوخاصة في المجتمعالصناعي الحديث.

فالاغتراب نمط من التجربة يعيش فيها الإنسان صراع قيم متضاربة تؤدي إلى تلاشي الذات وسقوط الهوية الفردية والاجتماعية، ويتضمن رأي فروم القول بأن أزمة القيم تكون في الصراع الذي يقوم بين قيم المجتمع الصناعي والقيم التقليدية السائدة في إطار الحياة الثقافية وفي الإكراهات الثقافية اللاشعورية التي تطرح نفسها في العمق الشعوري للإنسان المعاصر وتؤدي بالتالي إلى هدم تماسكه النفسي وتأتي على وحدته النفسية الثقافية في آن واحد.

ويذكر الأخصائي النفسي سفين لوندستد ما يلي :»يحدث سوء التوافق في الشخصية كرد فعل للفشل المؤقت في محاولة للتكيف مع ما يحيط بالمرء من طرائق جديدة وقيم جديدة»، «وعندما يحدث ذلك يعاني المرء كما يقول لوندستد «إحساساً ذاتياً بالضياع وشعوراً بالعزلة والوحدة. وعندما يتحرق شوقاً إلى بيئة يكون فيها إشباع حاجاته المادية والنفسية متوقعاً وأكثر وثوقاً» ثم بعد ذلك يصبح قلقاً ومضطرباً وتغلب عليه مظاهر البلادة».

فالتغيرات الاجتماعية والثقافية المتسارعة اليوم تجعل الإنسان يعيش صدمة ثقافية قيمية بالغة الخطورة والأهمية. وهي التغيرات التي تضع الشباب في مواجهة قيم جديدة غير مألوفة يتوجب عليه تمثلها وذلك يؤدي إلى إحداث خلل في تكيف الشباب وانهيارهم. إننا

في مواجهة قيم جديدة تتعلق بغزو الفضاء الأقمار الصناعية وثورات الحاسبات وذلك كله يعرض الشخصية لموجة متضاربة من القيم تؤدي إلى اضطراب في الشخصية وإلى انفصال اجتماعي.

أن الأمراض النفسية تزداد حدة عند المهاجرين الذين يتعرضون لصراع القيم بين قيم الوطن الأصلي وموطن الهجرة.

ويذكر جان فريمون في تعريفه للهوية ما يلي: «إن الهوية إحساس متماسك بالذات وهي تعتمد على قيم مستقرة وعلى قناعة بأن أعمال المرء وقيمه ذات علاقة متناغمة فالهوية شعور بالكلية وبالاندماج وبمعرفة ما هو خطأ وما هو صواب».

أن الأمر الحيوي في تشكل الهوية هو الشعور الواضح بالانتماء وقبول هذا الانتماء بمعنى إيجابي. ومن هنا يمكن القول أن الصراعات القيمية تؤدي إلى أزمة هوية ووجود لأن التكامل والانسجام في مستوى النسق القيمي يشكل منطق وحدة الهوية وقانونية تماسكها إن تشظي الهوية وانشطاراتها يأتي دائماً كنتاج للصراعات القيمية التي لا تقبل إحدى أطرافها الهزيمة والانسحاب. (عرسان وآخرون، 2000، ص99-102)

-بأزمة الهوية :

يعرف اريكسون الهوية بأنها المجموع الكلي لخبرات الفرد، وسلم بأن تركيب الهوية يتضمن مكونين متميزين يرجعهما إلى كل من هوية الأنا وهوية الذات، وترجع هوية الأنا إلى تحقيق الالتزام في بعض النواحي كالعمل والقيم أو هوية الذات فترجع إلى الإدراك الشخصي للأدوار الاجتماعية. (عبد الرحمن، 1998، ص275)

تنشأ أزمات الهوية عندما يصبح التوتر التي تثيره التناقضات الموجودة في المجتمعات مما يؤدي إلى شلل في طاقة الفعل، وإلى وجود قلق دائم.

إنه لا يمكن للمجتمع الواحد أن يكون مطلق التجانس بل ينطوي على جماعات فرعية وثقافات فرعية مختلفة تمثل أحياناً نماذج متناقضة.

فالشباب لا يوجدون في الشروط عينها التي أحاطت بآبائهم وهم لا يعيشون الحالات نفسها التي عاشها آباؤهم. فكل جيل إدراكه الخاص للمجتمع ولنماذجه الثقافية، لنظامه الثقافي بالإضافة إلى ذلك كله فإن الشباب يعيشون ذلك التباين الذي يوجد بين المعايير الاجتماعية التي يتبناها آباؤهم وبين الممارسات الحقيقية التي يؤديها هؤلاء الآباء.

إن أزمة الهوية المعاصر هي أزمة أنظمة القيم السائدة، وهي غالباً ما تكون من نصيب المثقفين الذين يوجدون في حالة اتصال دائم مع اتساق قيمية متعددة، والذين يتوجب عليهم إيجاد نظام متكامل من القيم، يستطيع أن يعكس وضعية التغيرات الخاصة بالبيئة.

إن انهيار إحساس الثقة بالنفس والآخر، داخل أنظمة القيم الثقافية، وداخل الأنشطة

الاجتماعية، من شأنه أن يعزز مواقف اللامسؤولية وأن يؤدي إلى نمو النزعة السلبية والاتجاهات الفردية.

ويترتب على ضياع الإحساس بالهوية : الإحساس بالوحدة والتماسك والاستقلال والتمايز والقيمة والثقة بالنفس. (ميكشيللي، 1993، ص134-145)

ومن الأسباب التي تعيق المراهق عن تحديد هويته «وجود تناقض شديد يشعر به المراهق بين قدراته وكفاءاته خاصة إذا كان على درجة عالية من الذكاء والكفاءة، وبين ما يتطلبه الوصول إلى مكانة مرموقة في المجتمع، من مهارات أخرى لا يتقنها المراهق ولا يستطيع أن يتقبلها.

وأيا كان السبب فإن التشتت والانتشار وعدم القدرة على تحديد الهوية، يثير عند الفرد حالة قلق شديد وذلك إن الفرد في هذه الحالة يكون واقعاً تحت تأثير الخوف الشديد من عدم القدرة على التحكم في ذاته أو السيطرة عليها وعلى مستقبله، على أن هذه الحالة ليست موجودة لدى كل المراهقين فهناك من المراهقين من يتخذ قراراً في مرحلة مبكرة بأنه سيتبع نفس الخط الذي يريده له آباؤه وأجداده دون أن يشك في هذا القرار لحظة واحدة سواء من حيث ما إذا كان يتفق مع امكاناته أم لا يتفق. (إسماعيل، 1996، ص330)

3- التنشئة الاجتماعية :

تعرف النشأة الاجتماعية «بأنها أعداد الفرد منذ ولادته لأن يكون كائناً اجتماعياً وعضواً في مجتمع معين وبما أن الأسرة هي الجماعة الأولى التي تتلقى الفرد، لذلك تكون آثارها هي الأكثر عمقاً في شخصية الفرد، فتقرر أن يكون سوياً أو منحرفاً». **(عصار، 1996، ص40)**

لقد اهتم العلماء والباحثون بدراسة عملية التنشئة الاجتماعية ومدى التأكيد على أساليب معينة في تربية الطفل «إذ قد يؤكد الآباء المحيطون على احترام سلوك معين واكتساب اتجاه معين في حين أن الجماعات الأخرى المحيطة بالطفل قد تؤكد على سلوك آخر واتجاه آخر يناقض تأكيدات المحيطين بالطفل، ويرجع هذا التفاوت في التأكيدات إلى وجود مسافة ثقافية بين التغير المادي الذي يطرأ بسرعة على المجتمع والذي يسود أساليب المعيشة باستخدام المبتكرات الحديثة، وبين التغير في عقولنا وأفكارنا وعاداتنا.

ففي الوقت الذي تؤكد فيه الجماعات الرسمية على مسايرة التغيير المادي السريع، تؤكد الأسرة والآباء على المستويات المعيارية التقليدية المتأصلة لدى الأسرة وهذا1 بدوره يؤثر في صياغة شخصية الطفل ونموه الاجتماعي، الأمر الذي يترتب عليه أتسام موقف الطفل بعدم الارتياح مع أفراد أسرته وبالتالي تتأثر نظرته لهم ولأسلوب معاملتهم له». **(الجولاني، 1997، ص64)**

يعتبر الاغتراب مسألة سيكولوجية ترتبط بمشاعر الفرد، بالذات التي يحملها بين جنبيه، بنظرته نحو الحياة وبظروف حياته مع الجماعات الصغيرة التي تقوم بعمليات التنشئة الاجتماعية، وبتكوينه العضوي والنفسي عامة.**(عصار، 1996، ص216)**

وهكذا فإن من يمكن أن نصفهم في فئة المغتربين هم أولئك الذين يشعرون باليأس من إصلاح الأمور، والغضب من مظاهر الادعاء والتظاهر، كذلك فهم يشعرون بالإحباط ونفاذ الصبر وعدم القدرة على احتمال المظاهر المادية للمدنية الحديثة، وتتميز شخصية المغترب بعدم الثقة في الطبيعة الإنسانية، الخوف من الصداقة الحميمة أو التعلق بالآخرين، اتجاه سلبي نحو الثقافة بشكل عام، اتجاه سلبي نحو أي تورط أو التزام، النظرة العامة إلى الحياة بمنظار أسود على اعتبار أنها شيء لا معنى له، الانعزالية قيام الأخلاق على أساس وجهة نظر ذاتية عفوية.**(إسماعيل، 1996، ص337)**

الاغتراب لدى الطالب الجامعي

دلت العديد من الدراسات على انتشار الاغتراب النفسي لدى الطالب الجامعي على خلفية العوامل العامةالمذكورة آنفا التي تمس فئة الشباب، مثلما هناك عوامل خاصة تخص الطالب، أما العوام لت وصلت إليها جديدي زوليخة في دراستها للاغتراب الاجتماعي لدى الطالب الجامعي، نذكر منها مايلي:

- ضغوط البيئة الاجتماعية والفشل في مقابلة هذه الضغوط .
- الثقافة المريضة التي تسود فيها عوامل الهدم والتعقيد.
- التطور الحضاري السريع وعدم توافر القدرة النفسية على التوافق معه.
- اضطرابات التنشئة الاجتماعية حيث تسود الاضطرابات في الأسرة والمدرسة والمجتمع.
- مشكلة الأقليات، ونقص التفاعل الاجتماعي، والاتجاهات الاجتماعية السالبة والمعاناة منخطر التعصب والتفرقة في المعاملة، وسوء التوافق المهني حيث يسود اختيار العمل على أساس الصدفة، وعدم مناسبة العمل للقدارت، وانخفاض الأجور.
- سوء الأحوال الاقتصادية وصعوبة الحصول على ضروريات الحياة .
- تدهور نظام القيم وتصارع القيم بين الأجيال

من الأسباب السابقة الذكر يتضح جليا أن الشباب الجامعي يمرون بمرحلة من النمو النفسي الاجتماعي، متمثلة في أزمة هي الأهم في حياتهم، وهي أزمة الهوية (وهذه الأزمة في حذ ذاتها ترجع الى أسباب عديدة)التي ينبغي أن يتوصلوا إلى حل إيجابي لها، يفي بهم إلى تحديد هوية واضحة ومتفردة من شأنها دعم نمو وتطور الشخصية في هذه المرحلة، وهم في هذه الحالة يجدون أنفسهم موزعين بين ضرورة طاعة أصحاب القرار والامتثال لهم، على الرغم من تحفظاتهم الكثيرة على عالم الكبار الذي لم يشاركوا في صنع هو ليس لهم دور في إدارته، وبين نزوعهم إلى الاستقلال وتحقيق الذات كإحدى أهم مطالب النمو

في هذه المرحلة، وبالتالي فإن الأمور السابقة منفردة او متداخلة مع بعضها من شأنها أن تؤدي إلى مشاعر اغترابية لدى الشباب تتجلى في سلوكهم نحو أنفسهم أونحوالآخرين، على اعتبار أن الاغتراب كظاهرة إنسانية تنعكس آثارها السلبية على الفرد والمجتمع. والمظاهر السابقة الذكر تتجلى بشكل واضح وصارخ في المجتمعات الغربية إلا أن الأمر ليس كذلك في المجتمع العربي وقد يعود هذا في جزء كبير منه إلى الالتزام بالمبادئ الدينية والأخلاقية، والقيم والمعايير الاجتماعية، إلا أن ذلك لا ينفي تعرض المجتمع بأكمله إلى «مظاهر تكيف مضطربة، نتيجة للإحباطات الناتجة عن انغلاق الفرص، وعدم إشباع الحاجات، أوإتاحة الفرصة لأساليب إشباع وهمية، وان الأمر يجعل من يلجؤون إلى الأساليب المرضية في التوافق، مظهرا من المظاهر التي تدل على فشل المجتمع بقدر ماهي مظهر يدل على فشل هؤلاء الأفراد أيضا، ومنهنا فإن اللجوء إلى الإجرام والعنف وتعاطي المخدرات وغيرها من المشكلات، ماهي إلا ظاهرة نفسية ولغة دالة تعلن عن طبيعة المرحلة التي يمربها المجتمع ذاته والتي تتسم بشكل أو بآخر بالاغتراب وانتشار اللا معيارية.

الأساليب الوقائية لمواجهة الاغتراب النفسي

إن المتأمل لكتابات الباحثين يجد أنه رغم التباين والاختلاف إلا أن هناك شبه إجماع على وجود ظاهرة الاغتراب كظاهرة اجتماعية يعاني منها الشباب وأنه من سمات هذا العصر،بحيث أن منظمة الصحة العالمية قد اعتبرته « مرض العصر الشائع «.مما يستدعي تدخل الباحثين والمختصين في ايجاد الحلول المناسبة للحد أو على الاقل التخفيف من هذه الظاهرة التي أصبحت تهدد كيان الشباب و مستقبل المجتمع

لعل من الأمور الأساسية التي لابد من أخذها بعين الاعتبار والبدء في اصلاحها لتفادي الكثير من الاضطرابات النفسية هي عملية التنشئة الاجتماعية التي تتدخل فيها مؤسسات كثيرة ولكن أولها هي الأسرة التي تعتبر المكان الأول الذي يتمُّ فيه باكورة الاتصال الاجتماعي، الذي يمارسه الطفل في بداية سنوات حياته، الذي ينعكس على نموه الاجتماعي فيما بعد، ويعتبر الآباء فيها نموذجًا للقدوة؛ المثَلِ الذي يجبُ على أطفالهم الاقتداءُ به، هي في تعليمها للطفل تغرسُ فيه القيمَ والمعايير السائدة في المجتمع، حتى تعده لأَنْ يَعِيش حياةً اجتماعية ناجحة بين أفراد الجماعة، لذلك لابد من إتباع أساليب في التنشئة الاجتماعية تساعد الطفل على أن ينمو بصورة سليمة بعيد عن كل أشكال التوتر والاضطراب كمرحلة هامة تؤثر مظاهر نموها على مرحلة الشباب.

كما أنَّ التربية على القيم عملية مستمرَّة؛ بحيث ينبغي العملُ بشكلٍ دائم على تكوين الفَرْد وتنمية وعْيِه بنظام حقوقِه وواجباته، وترسيخ سلوكِه وتطوير مستوى مشاركته في ديناميَّة المجتمع الذي ينتمِي إليه؛ ذلك أنَّ أساليب غَرْس القِيَم لدى المتعلِّمين وشباب المستقبل لا تتوقف في سن معين و في مرحلة معينة بل هي عملية تتبع الفرد طوال حياته لذلك لابد من

العمل على توفير البرامج التربوية في الجامعات والمؤسسات التعليمية كافة للطلبة لمكافحة ظاهرة الإغتراب النفسي وتحقيق الدعم اللازم لهم وتحقيق التفاعل الاجتماعي الدائم بين الأفراد

و علاوة عن ذلك العمل على تطوير وعي القائمين بعملهم في المدينة الجامعية بأهمية موضوع الأمن النفسي للطالب، وذلك من خلال دورات تأهيلية في هذا المجال تنشر الوعي بأهمية تحقيق الطمأنينة النفسية للطالب، والحد من مظاهر الاغتراب النفسي من خلال برامج إرشادية مناسبة.

كما يستدعي الأمر إلى العمل على إدخال تجربة الإرشاد النفسي التربوي إلى مرحلة التعليم الجامعي، وأن يكون هناك مكتب مختص بالعملية الإرشادية في السكن الجامعي، لتكون بذلك حلقة متممة لعملية الإرشاد في المراحل التعليمية السابقة، والسعي لإيجاد التكامل بينهما، خاصة فيما يتعلق بإرشاد الطالب نحو تحقيق ذاته الخاصة، مما من شأنه تعزيز التوافق النفسي والاجتماعي له والتخفيف من حدة الشعور بالإغتراب النفسي.

العمل على ملئ فراغ الشباب وتنمية مهاراتهم من خلال : (دورات كمبيوتر، الدفاع عن النفس، الإسعافات الأولية...)، وذلك بالتنسيق مع المراكز المتخصصة وبأسعار مخفضة، والعمل على اصدار المجلات الشبابية التي تهتم بأمورهم، والعمل على نشرها بين أوساط الشباب

العمل على توفير تربويين متخصصين في مخاطبة الشباب وحل مشكلاتهم، وبوسائل ميسرة، مثل : (الهاتف المباشر، البريد، البريد الإلكتروني)

بالمحصلة، يعد الاغتراب كظاهرة نفسية اجتماعية تمس فئة الشباب عامة، و الطلبة الجامعيين خاصة، يصعب التحكم فيها بدرجة كبيرة بالنظر إلى تعدد مصادرها في المجتمع و الثقافة، وتعدد مظاهره النفسية و المعرفية و السلكية البديلة في الحياة اليومية من انسحاب، و تبعية و خضوع، وتمرد، لذلك تحتاج تناول هذه الظاهرة بالدراسة و الفهم و الوقاية إلى مقاربة نسقية متعددة التخصصات ترصد كل أسبابه و مظاهره، وطرح استراتيجية شاملة ذات ابعاد ثقافية فكرية، ونفسية اجتماعية للحد من انتشاره و تأثيراتها السلبية في فئة الشباب على وجه العموم

المراجع:

1. الشتا السيد (1997):اغتراب الانسان في التنظيمات الصناعية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
2. الشتا السيد (1987):الاغتراب الاجتماعي في ضوء نظرية التكامل المنهجي، رسالة دكتوراه جامعة القاهرة كلية الآداب.
3. عباس فيصل (1989):الشخصية في التحليل النفسي، الطبعة الاولى، دار المسيرة،بيروت.
4. عبد المختار (1998):الاغتراب و التطرف نحو العنف، القاهرة، دار الغريب، الطبعة الأخيرة .
5. عبد الرحمن، محمد (1998):دراسات في الصحة النفسية، القاهرة، دار قباء للنشر، الجزء الثاني.
6. الجولاني فادية (1993):التغير الاجتماعي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.
7. دمنهوري، رشاد صالح (1990):الشعور بالاغتراب عن الذات و الاخرين، مجلة علم النفس، عدد 13.
8. ميكشي ليلي ألكسيس (1993): الهوية، دمشق، دار الوسيم .
9. خير الله عصار (1996):مبادئ علم النفس الاجتماعي، سوريا، دار الطلاس للدراسات و النشر.
10. عادل عبد الله محمد (2000): العلاج السلوكي المعرفي، دار الكتب الحديثة.
11. بركات حليم (2006): الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.